اليهودي بارجاعه الى وطنه. لكن الحلم تشوّش في اثناء التنفيذ، لأنهم لم يتحققوا ممّا اذا كان اليهود، حقاً، بحاجة الى هذا الانقلاب، اذا لم يكن حلاًّ لوجودهم. لذا، تبدو الدولة، حسب وصف يهوشع، مصابة بمرض نفسي صعب»(١١).

ان غبريئيل النازح، والقادم مجدداً، ادرك تماماً أزمته وعدم قدرته على المحاربة. وهذه شهادة دامغة على فشل الصهيونية. امّا دافي، فهي أكدت فشل الصهيونية التامّ، وتحقق ذلك بعلاقة الغرام التي قامت بينها وبين نعيم العربي. امّا آدم، فحاول، من جهته، التنازل عن تحقيق الحلم الصهيوني، وذلك بايجاده عشيقين ويتقبّل نعيم العربي. وبهذا نلاحظ ان آدم هو شخصية مركزية في عملية تدهور الصهيونية. فقواه استنزفت وعاجل الى ايجاد المساعدين والبدائل (عشّاق ومدمِّرين). باختصار، رواية «العاشق» هي رواية مشروع يؤكد نهاية الصهيونية، بوعي، او بلا وعي، الكاتب. هذا العمل، الذي قرأناه سياسياً، بدا، في أحيان، متعباً، وذلك لأن المستوى الفكري ـ الايديولوجي للكاتب حدّد حركة الرواية؛ لكن، على الرغم من ذلك، احتفظت الرواية بدرجة عالية من التشويق.

ان شخصية نعيم المرسومة في الرواية هي شخصية نمطية. والأكثر من ذلك هو انها (على صغرها) شخصية انتهازية حاولت، قدر الامان، الظهور بمظهر المتصالحة مع كل الواقع الاسرائيلي ـ الصهيوني، وذلك بحفظها الاشعار لكل من بياليك، وغيره من الشعراء الصهيونيين الصميمين، ناهيك عن تصرّفاتها واستماتتها من اجل العيش في ظل اسرة آدم.

المآخذ على شخصية نعيم كثيرة. وهي قدّمت صورة للعربي الذي أبدى استعداداً كبيراً للتنازل عن أصالته وعروبته في سبيل ان يُقْبَل في المجتمع اليهودي. هذه الصورة هي صورة نمطية، وهي لا تمثّل سوى قطاع ضيّق من المتصهينين، او المنبهرين بقشور الحياة. على أي حال، مناقشة شخصية نعيم قد تأخذ مجالاً آخر، لكن اللمسات الحانية التي أضفاها يهوشع على الشخصية كشفت عن مدى العلاقة الحميمة التي أقامها الكاتب مع شخصية العربي: شخصية نمطية ذات لمسات انسانية وحس وشعور لا يستطاع تجاهلها. لذلك، نرى ان عملية المصالحة التي تمّت، في الرواية، بين العربي واليهودي هي ذات اساس واهٍ. فنعيم، في أقصى الحالات، لا يمثّل الاّ شريحة ضيّقة جداً من العرب في البلاد، والطابع الايديولوجي الذي فرضه الكاتب على الشخصيات لم يترك فرصة للواقع ان يتكامل كما هو؛ بل «تشوّه» وبدا ناقصاً في أحيان. على هذا، نرى ان رواية «العاشق»، مع كل التفاصيل اليومية البارزة في مونولوجات الشخصيات، قدّمت فكرة ذهنية أكثر ممّا قدّمت حيوات وشخصيات ذات ابعاد ضاربة في عمق الواقع. لذا، بدت عملية المصالحة التي تمّت بين آدم ونعيم عملية ناقصة، تنقصها الحقيقة اليومية. فالرواية قدّمت حلم اللقاء بين العربي واليهودي؛ لكن الحلم افتقد الارضية، في ضوء سياسة التمييز والقهر، الذي يمارس على العربي. وأقصى ما فعله يهوشع، مع كل المآخذ، هو انه حاول ان يجري مصالحة بين الطرفين.

لقد كان افلاس الصهيونية هو الظل المخيّم على رواية «العاشق»؛ وهذا ما حصل، ايضاً، في روايتي يهوشع الاخيرتين. ومع ذلك، عاد يهوشع، في رواية «مولخو»، الى «عاشقه» حين كرّر عملية المصالحة مع العربي في الرواية(١٢). ففي «مولخو» قدّم الكاتب الينا مقاطع جميلة عن احدى الشخصيات العربية التي انسجمت واطار الرواية عامة. فالهاجس الاساسي ـ اللقاء مع العربي ـ لم يترك يهوشع. وهو بهذا مصاب، وتكاد الايديولوجيا تصبغ العمل عامة، الى درجة بدا العمل كأنه مخطط له، ممّا افقده الكثير من حرارته، ورعشته. فمولخو غيّب زوجته (ظاهرياً ماتت) لكي يبحث